



تعليقًا على الغارات العنيفة التي تشهدها الرقة وراح فيها العشرات من القتلى والجرحى، وقابل ذلك ردود أفعال أو أقوال يمكن وصفها بالبلدية.

كتب حسام عيتاني على صحيفة الحياة مقالاً بعنوان: الرقة: «يوميات القتل العادى»

يذكر رد الفعل البليد الذي أحاط بمقتل أكثر من مئة مدني جراء غارات طيران النظام السوري على مدينة الرقة قبل أيام بعنوان كتاب وضاح شارة «أيام القتل العادى».

وفيمما أثارت الجرائم التي تحدث الكتاب عنها ضجة كبيرة في حينها والواقعة في الحيز السياسي المباشر كاغتيال رياض الصلح، أو على تقاطع الاجتماع والسياسة مثل مقتل موظفي صندوق تعاضد الأساتذة الثمانية في تسعينات القرن الماضي، أطبق التجاهل المرفق ببيانات الادانة الصادرة عن بيروقراطيين أصحابهم الملل، على استهداف طائرات بشار الأسد تجمعات سكان الرقة مفاصلاً من «يومية» القتل و«عاديتها» إلى الحد الذي يخرج الفعل من أي استثناء أو عزم على منع تكراره.

تغير الطائرات على الرقة هكذا، لأنها هدف سهل ومفيد لإظهار الأسد كشريك في الحرب على الإرهاب الذي يحتل المدينة، وأن المغيرين يعرفون أنهم سينجون من أي عقاب يزيد عن التنديد اللفظي من وسائل الإعلام ومن الحكومات والدول الكبرى.

أهداف سهلة ودماء رخيصة يقصفها ويدفعها بشار الأسد في قلب ساحة عمليات التحالف الدولي الذي يعجز هو نفسه عن رسم خطة بسيطة ومفهومة (حتى لا نستخدم كلمة «استراتيجية») لما يريد تحقيقه من حربه على «داعش».

وفي الوقت الذي يبقى القول للعسكريين في شأن المعرفة المسبقة لأجهزة التحالف بوقوع ضربة الطيران السوري (نظراً إلى خصوص الرقة كمنطقة عمليات للتحالف لرقابة مستمرة استخبارية وعسكرية من قبل قواته)، فإن تعامي الحكومات الغربية بما جرى في الرقة صباح الثلاثاء الماضي يفصح عن أمور عدّة.

• أولها وأدحها، غياب الرؤية السياسية لكيفية التعامل مع نظام الأسد ومع «داعش» في آن. فالأحاديث الأميركيّة عن الحرب الطويلة تفسر أحوال قائلها أكثر مما تفسر الوضع القائم ومستقبله. فهوّلاء الحائزون بين رطانتهم عن حقوق الإنسان واستهداف المدنيين و»وحشية قوات بشار الأسد» – على ما ورد في بيان المتحدّث باسم وزارة الخارجية الأميركيّة – وبين اعاقتهم لأي ضغط جدي لفرض الحل السياسي على الأسد، لا يفعلون في الواقع الامر غير إرسال رسائل فارغة من أي مضمون إلى الأسد وحلفائه: ما من سياسة أو خطّة أو قدرة على تحمل عبء وقف المذابح بحق السوريين.

الفراغ الأميركي لا ترجمة له، بداهـة، الا التشجيع على المزيد من القتل المجاني.

• ثانية، أن توفر الضحايا الجاهزين للموت والصامتين والذين لا باكين عليهم ولا مطالبين بالعدالة لهم في الحكومات ووسائل الإعلام، يعيد إلى الأذهان قضية الاختلاف في المعايير وفي «قيمة» القتلى. مثل بسيط ان المقطع المصوّر الذي صور نبع «داعش» رهينة غربياً ضم كذلك صور نبع 18 جندياً سورياً. لم يبال أحد، خصوصاً نظام الأسد، بالقتل السوريين الذين سقطوا ضحية وحشية لا تقل عن تلك التي تعرض لها الرهينة الغربي. كما لم يبال أحد بضحايا الرقة. فالقتلى أنواع وأصناف والانسانية لا تغطي عينيها (على ما نجد في التمايل التي تشخص العدالة) ولا تتعامل مع البشر بذات المعايير. فكعب القتيل الغربي أعلى من كعب زملائه الجنود. ولا شك أن في أدنى اللائحة يقع ضحايا الرقة الذين لم يحزن أحد لأجلهم غير أقربائهم المباشرين.

• ثالثها، إن سلوك التحالف في تمييزه بين الضحايا، يصب الماء في طاحونة «داعش» ومقولة المظلومية السنّية وتحمّل هذه الجماعة الخسائر البشرية والمادية الأكبر في صراعات المنطقة التي تزداد سمات «اليومية» والعادية» فيها.

الحياة

المصادر: